المبحث الرابع
الدروس السياسية

١ ـ النعرات القبلية:

يقول أ/ عبَّاد: «ما فعله أبو عامر الفاسق نوع من النعرات القبلية التي تستخدم كوسيلة من وسائل تفرقة الأمة وتمزيق شمل المسلمين، أما أبو سفيان بن حرب فقد استخدم أسلوب المصلحة للتفرقة، بأن يقنع الأنصار أن يتخلوا عن الرسول ﷺ لمصلحتهم حيث إنهم غير مقصودين بالحرب، فلا مصلحة لهم بأن يضحوا بأنفسهم وأموالهم ومصالحهم من أجل قوم غير قومهم (أهل مكة).

وهذا ما يُفعل اليوم بالدول الإسلامية والعربية من قِبَل الدول الكبرى ليحافظوا على فُرقة تلك الدول، والأمة الإسلامية مدعوة إلى ترك الدعوات المضللة التي تكون بدعوى مصلحة الدولة وأمنها الداخلي والخارجي وأحيانًا باسم النعرات القبلية (كاللغة والجنس...)، وعليها أن تلتف حول العقيدة الإسلامية والشريعة الربانية، ويكون شعارهم قول الرسول ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ**». [البخاري في الصلاة (٤٨١)، وفي المظالم والغصب (٢٤٤٦)، وفي الأدب (٦٠٢٧)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٥)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٨)، والنسائي في الزكاة (٢٥٦٠)، وأحمد عن أبي موسى الأشعري ﷺ (١٩١٢٧، ١٩١٢٨، ١٩١٦٨)].

«**مَنْ لَا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ**». [أخرجه الطبراني في «الصغير» (ص ١٨٨) و«الأوسط» (٢/ ١٧١/ ١/ ٧٦٢٦)، وعنه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٥٢) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ١/ ٤٨٣ حديث رقم ٣١٢].

[مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٨٠-٨١].

٢ ـ محاولة الأعداء لشق صف المسلمين ووحدتهم:

جاء في رواية الطبري من حديث محمد بن إسحاق قال: حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر ابن الخطاب ﷺ عن رجل من الأنصار من بني سلمة قال: وقد أرسل أبو سفيان رسولًا فقال: «**يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّنَا نَنْصَرِفْ عَنْكُمْ، فَإِنَّهُ لَا حَاجَةَ لَنَا بِقِتَالِكُمْ**، فَرَدُّوهُ بِمَا يَكْرَهُ.

[تاريخ الطبري ٢/ ٥١١].

يقول د/ الحميدي: «وهكذا ظهر لون من ألوان خداع المشركين للمسلمين حيث أرادوا تفريق كلمتهم بمحاولة إقناع الأنصار بالتخلي عن رسول الله ﷺ، وقد كان الكفار في غاية السذاجة في التفكير حينما تقدموا بهذا الطلب؛ لأن من خَبَرَ حال المؤمنين في ارتباطهم برسول الله ﷺ علم أنهم جميعًا يفدونه بأرواحهم، وأنه من المستحيل أن يستجيبوا لهذا الطلب.

ولقد كان موقفًا جليلًا للأنصار ﷺ حينما ردوا على المشركين بما يكرهون، وأبانوا لهم قوة ارتباطهم برسول الله ﷺ، واهتمامهم بحماية دينهم.

وهذا الموقف يعتبر تبكيتًا للمشركين وتحطيمًا لمعنوياتهم حيث أظهر الأنصار تصلبهم في حماية الإسلام مع ما يكلفهم ذلك من حرب شعواء تظهر للمتأمل المتجرد من الإيمان بتغليب كفة المشركين لكونهم أكثر عَددًا وأقوى عُدة، ولكونهم موتورين جاؤوا لطلب الثأر، ولكون المدينة تشتمل على أعداء للمسلمين من اليهود والمنافقين». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٠٧].

ويقول د/ أبو فارس: «لا شك أن هذه الدعوة تجد آذانًا صاغية عند النفعيين الماديين الذين ينظرون للحياة نظرة تجارة مادية على أساس الربح والخسارة، أما عند الذين آمنوا بأن الحياة الدنيا هي دار ابتلاء، وأن الآخرة دار جزاء، وأن الفلاح يكون بمقدار البذل والتضحية لله ولرسوله، فلا يصغون لهذا الكلام، بل يسخرون منه، ولا يقيمون وزنًا له ولقائله، وهكذا كان موقف المسلمين من مهاجرين وأنصار، وهكذا استطاعوا إفشال خطة أبي سفيان التي كانت تهدف إلى تصديع جبهة المسلمين».

[غزوة أُحد لأبي فارس ٧١-٧٢].

«ومحاولة أبي عامر الفاسق لتصديع جبهة المسلمين وتفريق المؤمنين جاءت عن طريق آخر وبأسلوب غير أسلوب أبي سفيان، إنه طريق التعصب للقوم، فقد كان زعيمًا للأوس في الجاهلية، وظن أنه يستطيع أن يوجد صدعًا في جبهة المسلمين بإثارة النعرة القومية القبلية الضيقة النتنة.

ولكن هذا الأسلوب الرخيص لم يُجد فتيلًا؛ لأن القوم الذين آمنوا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا، نبذوا العصبية المنتنة وتآلفت قلوبهم وتجمعت نفوسهم على رابطة العقيدة والدين لا على رابطة التراب والطين، إنهم يرفضون أيه رابطة تتعارض مع الرابطة الأولى والوشيجة الهامة وهي وشيجة العقيدة، ومن هنا وقفوا بحزم من دعوة أبي عامر الفاسق فشجبوها، وردوا عليه بما يستحق.

والأمة الإسلامية اليوم مدعوة إلى ترك الدعوات المضللة واتباع الدعوة الإسلامية، والتجمع حول رابطة العقيدة، كما تآلفت قلوب الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ حول هذه الوشيجة».

[غزوة أُحد لأبي فارس ٧٢-٧٣].

ويقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر موقف من مواقف الولاء والبراء، فقد ظهر ولاء الأنصار رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ والمؤمنين من المهاجرين، وبراءتهم من سيد من ساداتهم في الجاهلية كان موضع السمع والبصر في قومه الأوس حيث لم يبق من السادة الكبار بعد حرب بعاث إلا هو من الأوس وعبد الله بن أبي بن سلول من الخزرج، فكان لما له من شرف سابق فيهم يَعِدُ المشركين بأن قومه سيطيعونه وينضوون إليه إذا التقى الصفان، ولكن الله تعالى خيب أمله بهذا الرد القوي الذي لقيه من قومه».

[التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١١٤].

٣ ـ لا عصبية ولا قبلية ولا قومية:

يقول د/ الزيد: «عَنْ أَبِي عُقْبَةَ ـ وَكَانَ مَوْلًى مِنْ أَهْلِ فَارِسَ ـ قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُحُدًا فَضَرَبْتُ رَجُلًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَقُلتُ: **خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا الْغُلَامُ الْفَارِسِيُّ**، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**فَهَلَّا قُلتَ: خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا الْغُلَامُ الْأَنْصَارِيُّ؟ فَإِنَّ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ**».

[مسند أحمد ٣٧/ ١٩٣ رقم ٢٢٥١٥، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده ضعيف، وأبو داود في الأدب (٥١٢٣)، وضعفه الألباني، وقال الهيثمي في المجمع ٦/ ١١٥: (رواه أبو يعلى ورجاله ثقات)، وينظر: صحيح السيرة النبوية للعلي ص ٣٠١، وقال: (وإسناده حسن). [قلت: وابن ماجه في الجهاد (٢٧٨٤) وضعفه الشيخ الألباني، والمطالب العالية لابن حجر ١٧/ ٣٧٠ كتاب المغازي والسير (٤٢٦٨)، وضعف محققه إسناده].

نأخذ منها تصحيح العبارات حتى في أحلك المواطن [صحيح السيرة النبوية للعلي ص٣٠١]، وأن الانتساب الحقيقي للمسلم إنما هو لأهل الإسلام، فلا عصبية ولا قبلية ولا قومية ينتمي إليها ويدع انتماءه الحقيقي إلى هذا الإسلام (ولذلك كره النبي ﷺ أن ينتسب ـ هذا الرجل ـ إلى فارس؛ لأنهم كانوا كفارًا، فأرشده ﷺ إلى الانتساب إلى مواليه الأنصار وترك الانتساب إلى الاسم الجاهلي) [بلوغ الأماني لأحمد البنا ٢٢/ ١٧٧، وينظر: عون المعبود شمس الحق العظيم آبادي ١٤/ ٢٨]». [فقه السيرة للزيد ٤٥١-٤٥٢].

٤ ـ أهمية طاعة الأمير:

يقول د/ الزيد: «في معصية أغلب الرماة لأميرهم عبد الله بن جبير ﷺ وتركهم للجبل، وما ترتب على ذلك من أضرار بالغة، نستفيد منها أهمية طاعة الأمير، ذلك أن طاعة ولي الأمر لها اعتبارها ومكانتها وعظيم أثرها، والله جل شأنه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء].

ويقول الرسول ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي**».

[البخاري في الجهاد (٢٩٥٧)، وفي الأحكام (٧١٣٧)، ومسلم في الإمارة (١٨٣٥)، والنسائي في البيعة (٤١٩٣)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٥٩)، وأحمد عن أبي هريرة ﷺ (٧٣٨٦، ٧٦٠٠، ٨٧٨٨، ٩٦٩٦، ٩٧٣٩، ١٠٢٥٩، ٢٧٣٥٠)].

فينبغي أن يدرك الجميع أهمية الطاعة لولي الأمر في غير معصية الله جل شأنه، وأن مصلحة المجتمع في الطاعة، وكم جَرَّت مخالفة بعض الرماة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ من أسى وضرر على المسلمين في أُحد بسبب عدم طاعتهم للرسول ﷺ وعدم طاعتهم لأميرهم عبد الله بن جبير ﷺ حينما أمرهم بالبقاء ونهاهم عن ترك الجبل وذكَّرهم بأمر رسول الله ﷺ، والله أعلم بالصواب». [فقه السيرة للزيد ٤٤٩-٤٥٠].

وفي مبحث الدروس الفقهية سبق تفصيل القول عن حكم طاعة ولي الأمر، أما هنا فيناقش د/ بامدحج: «**المواقف التي أطاع فيها الصحابة ﷺ الرسول ﷺ وانتصروا فيها، وكذلك الموقف الذي خالف فيه الصحابة ﷺ الرسول ﷺ وماذا ترتب على هذه المخالفة من خلال أحداث غزوة أُحُد:**

المواقف التي أطاع فيها الصحابة ﷺ الرسول ﷺ وانتصروا فيها كثيرة جدًّا نذكر منها:

أولاً: عند المشاورة: بعد أن تمت المشاورة بين الرسول ﷺ والصحابة ﷺ واستقر الرأي على الخروج للقاء قريش في أُحُد، عقد الرسول ﷺ العزم على الخروج فتردد بعض الصحابة في الخروج لكن الرسول ﷺ أبى إلا الخروج وتنفيذ ما تم الاتفاق عليه، قال ابن اسحاق: «فلم يزل الناس برسول الله ﷺ الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم، حتى دخل رسول الله ﷺ بيته، فلبس لأمته فتلاوم القوم فقالوا: عرض نبي الله ﷺ بأمر وعرضتم بغيره، فاذهب يا حمزة فقل لنبي الله ﷺ: «أمرنا لأمرك تبع»، فأتى حمزة ﷺ فقال له: يا نبي الله إن القوم قد تلاوموا فقالوا: أمرنا لأمرك تبع، فقال رسول الله ﷺ: «**مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ**». [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٣].

فالتزم الصحابة لأمر رسول الله ﷺ وخرج الجميع، وكان هذا الالتزام سببًا من أسباب النصر وهذا نوع من الطاعة.

ثانيًا: عند التخطيط: رسم رسول الله ﷺ خطته للتصدي لجيش كفار قريش، وكان من ذلك أن انتقى رسول الله ﷺ خمسين من الرماة تحت إمرة عبد الله بن جبير ﷺ، ووضعهم فوق جبل عينين المقابل لجبل أُحُد؛ وذلك ليمنع التفاف جيش المشركين حول جيش المسلمين، وأصدر أوامره إليهم قائلًا: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ، فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**».

[البخاري في الجهاد (٣٠٣٩)، وفي المغازي (٤٠٤٣)، فتح الباري ٦/ ١٨٨، ٧/ ٤٠٥].

ثم أصدر ﷺ أوامره للجيش قائلًا: «**لَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُوذِنَكُمْ**»، وقال: «**لَا يُقَاتِلَنَّ أَحَدٌ حَتَّى آمُرَهُ بِالقِتَالِ**».

فلما نفذ الجميع تعليمات الرسول ﷺ وأوامره انتصر المسلمون، وهذا من ثمار طاعة الأمير والسمع والطاعة لولي الأمر.

وهناك درس آخر نستفيده من هذا الحدث وهو ترتيب الرسول ﷺ للرماة ﷺ وذلك لكي يعلمنا ﷺ كيفية الطاعة وأهميتها في نجاح الخطة المرسومة، وفائدة ذلك في طاعة ولي الأمر.

ومن فوائد ذلك: أمره ﷺ بعدم بدء القتال إلا بأمره ﷺ فيه مظهر من مظاهر الطاعة؛ وذلك لكي يتم العمل بنظام معين، وتؤتى ثمار الجهد المبذول.

ومن غزوة أُحُد نتعلم هذا الدرس وهو أن الصحابة ﷺ عندما أَخَلُّوا بالطاعة كاد أن يُخلص إلى رسول الله ﷺ أو يُقتل، والسبب عدم الطاعة. [الإسلام والانضباط ـ د/ زيد بن عبد الكريم الزيد ص ٤٠ (ندوة أقيمت في مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض في ١٥/ ١٠/ ١٤١١هـ بعنوان: دور المواطن في المحافظة على مكتسبات التنمية)].

ثالثًا: ما ترتب على مخالفة أمر الرسول ﷺ: لما رأى الرماة ﷺ هزيمة المشركين ورأوا الغنائم في أرض المعركة جذبهم ذلك إلى ترك مواقعهم، ظنًا منهم أن المعركة انتهت فقالوا لأميرهم عبد الله بن جبير ﷺ: «**الغَنِيمَةَ أَيْ قَوْمِ الغَنِيمَةَ ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ**»، فَقَالَ عَبْدُ الله ابْنُ جُبَيْرٍ ﷺ: **أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ الله ﷺ**، قَالُوا: **وَالله لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ، فَلَنُصِيبَنَّ مِنْ الغَنِيمَةِ.**

[البخاري في الجهاد (٣٠٣٩)، وينظر: فتح الباري ٦/ ١٨٨، ٧/ ٤٠٦].

ثم انطلقوا يجمعون الغنائم ولم يعبأوا بقول أميرهم ﷺ ووصف ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ حالة الرماة في ذلك الموقف، فقَالَ: «فَلَمَّا غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبَاحُوا عَسْكَرَ الْمُشْرِكِينَ، أَكَبَّ الرُّمَاةُ جَمِيعًا فَدَخَلُوا فِي العَسْكَرِ يَنْهَبُونَ، وَقَدْ التَقَتْ صُفُوفُ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ فَهُمْ كَذَا ـ وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْهِ ـ وَالتَبَسُوا، فَلَمَّا أَخَلَّ الرُّمَاةُ تِلكَ الخَلَّةَ الَّتِي كَانُوا فِيهَا، دَخَلَتْ الخَيْلُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَضَرَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَالتَبَسُوا وَقُتِلَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ نَاسٌ كَثِيرٌ...». [مسند أحمد ١/ ٢٨٧، رقم ٢٦٠٨، ورواه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير ٢/ ٢٩٦، ومجمع الزوائد للهيثمي ٦/ ١١٠-١١١].

ورأى خالد بن الوليد ـ وكان على خيالة المشركين ـ الفرصة سانحة ليقوم بالالتفاف حول المسلمين، ولما رأى المشركون ذلك عادوا إلى القتال من جديد وأحاطوا بالمسلمين من جهتين، وفقد المسلمون مواقعهم الأولى، وأخذوا يقاتلون بدون تخطيط، فأصبحوا يقاتلون مبعثرين متفرقين، فلا نظام يجمعهم، ولا وحدة تشملهم، بل لم يعودوا يميزون بعضهم، فقد قتلوا اليمان ـ والد حذيفة بن اليمان ﷺ ـ وهو شيخ كبير.

عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: لَـمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ [هَزِيمَةً تُعْرَفُ فِيهِمْ]، فَصَاحَ إِبْلِيسُ [ـ لَعْنَةُ الله عَلَيْهِ ـ]: **أَيْ عِبَادَ الله أُخْرَاكُمْ**، فَرَجَعَتْ أُولَاهُمْ فَاجْتَلَدَتْ هِيَ وَأُخْرَاهُمْ، فَنَظَرَ حُذَيْفَةُ فَإِذَا هُوَ بِأَبِيهِ اليَمَانِ، فَقَالَ: **أَيْ عِبَادَ الله أَبِي أَبِي**، فَوَالله مَا احْتَجَزُوا [انْحَجَزُوا] حَتَّى قَتَلُوهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: **غَفَرَ اللهُ لَكُمْ**، قَالَ عُرْوَةُ: **فَمَا زَالَتْ فِي حُذَيْفَةَ مِنْهُ بَقِيَّةُ خَيْرٍ حَتَّى لَحِقَ بِالله** ﷻ.

قَالَ: وَقَدْ كَانَ انْهَزَمَ مِنْهُمْ قَوْمٌ حَتَّى لَحِقُوا بِالطَّائِفِ». [البخاري في بدء الخلق (٣٢٩٠)، وفي مناقب الأنصار (٣٨٢٤)، وفي المغازي (٤٠٦٥)، وفي الأيمان والنذور (٦٦٦٨)، وفي الديات (٦٨٨٣، ٦٨٩٠)].

وأخذ المسلمون يتساقطون شهداء في الميدان، وفقدوا اتصالهم بالرسول ﷺ، وشاع أنه قُتل ﷺ.

إن الخطأ الفظيع الذي وقع فيه الرماة والذي قَلَب الموازين، وأدى إلى الخسائر الفادحة التي لحقت بالمسلمين، كل ذلك بسبب مخالفة الرماة لأمر الرسول ﷺ، قَالَ البَرَاءُ بنُ عَازِبٍ ﷺ في وصف حال

المسلمين: «... فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الجَبَلِ، رَفَعْنَ عَنْ سُوقِهِنَّ قَدْ بَدَتْ خَلَاخِلُهُنَّ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: الغَنِيمَةَ الغَنِيمَةَ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَا تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ، فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا...». [البخاري في المغازي (٤٠٤٣)].

ولكي نعرف أهمية الطاعة لولي الأمر، نلحظ أن انخزال عبد الله بن أُبي ومَنْ معه من المنافقين لم يؤثر على المسلمين، بينما الخطأ الذي ارتكبه الرماة الذين أحسن الرسول ﷺ ترتيبهم وأسند لكل واحد منهم عملًا، ثم خالفوا أمره ﷺ كان ضرره على المسلمين عامة، حيث سلط الله عليهم عدوهم؛ وذلك بسبب عصيان الأوامر، ثم اختلطت أمورهم وتفرقت كلمتهم، وكاد أن يُقضى على الدعوة الإسلامية وهي في مهدها.

ومن هذا يتبين لنا أنه حينما أُطيع الأمير كانت النتيجة انتصار المسلمين، وحينما عُصي الأمير ترتب على ذلك حصول الهزيمة والإصابات والخسائر الفادحة للمسلمين، ومن هذا يتبين لنا أثر طاعة ولي الأمر ـ في غير معصية الله ـ في حدوث الاستقرار والطمأنينة والأمن بجميع صوره سواء الأمن على الدين أو الأنفس أو الأموال أو غير ذلك، إضافة إلى حصول الإيمان لله ﷻ ولرسوله ﷺ وذلك من طاعة ولي الأمر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء].

وقال ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعْ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي، وَإِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ وَعَدَلَ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا، وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ**». [البخاري في الجهاد (٢٩٥٧)].

آثار الطاعة من خلال غزوة أُحُد: بينا أهمية الطاعة لولي الأمر عمومًا، وأهميتها في غزوة أُحُد خاصة، وأن الحياة لا تنتظم ولا تستقر بدون طاعة ولي الأمر، وفي هذه الفقرة سوف نبين آثار الطاعة من خلال غزوة أحد، ومن ذلك:

(١) الامتثال لأمور الله ﷻ وأمر الرسول الكريم ﷺ.

(٢) ظهور الأمة بمظهر الهيبة والرهبة أمام الأعداء.

(٣) أنها سبب في النصر على الأعداء.

ولقد تبين لنا ذلك من خلال أحداث غزوة أُحُد، حيث انتصر المسلمون في أول الأمر حينما امتثلوا لأوامر الرسول ﷺ، وانقادوا لتعليمات قائدهم وأميرهم عبد الله بن جبير ﷺ، بينما انهزموا حينما خالفوا أمره ﷺ ونزل الرماة من الجبل لجمع الغنائم مع بقية الصحابة ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ

صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ [آل عمران].

ومن ظهور الأمة بمظهر الهيبة والرهبة أمام الأعداء أن خالد بن الوليد ﷺ حاول أن يسيطر على الجيش الإسلامي من خلف الجبل ولكنه لم يفلح في ذلك، بالرغم من كثرة جيش قريش؛ وذلك لامتثال الرماة لأمر الرسول ﷺ، فبدا له أن الجيش الإسلامي كتلة واحدة متماسكة، و قد أشار الله ﷻ إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال].

وأما أنها سبب في النصر على الأعداء فلعل ما حصل أثناء الغزوة أجلى دليل على ذلك، فالمسلمون قد انتصروا في أول الأمر حينما كانوا مطيعين لرسول الله ﷺ، ثم انهزموا حينما خالفوا أمره ﷺ، فنزل الرماة من الجبل لمشاركة الناس في جمع الغنائم بدون إذن رسول الله ﷺ.

[طاعة أولي الأمر ـ د/ عبد الله الطريقي ص ٦٢ ـ دار المسلم بالرياض ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م].

(ومن آثار عدم الطاعة ما حصل من معصية بعض الصحابة ﷺ والنبي ﷺ بين أظهرهم، وهم يجاهدون في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله...، والذي حصل أنه لما كانت الغلبة للمؤمنين، ورأى بعض الرماة أن المشركين انهزموا، تركوا الموضع الذي أمرهم النبي ﷺ ألا يبرحوه، وذهبوا مع الناس، وبهذا كَرَّ العدو عليهم من الخلف، وحصل ما حصل من الابتلاء والتمحيص للمؤمنين، وقد أشار الله تعالى إلى هذه العلة بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] هذه المعصية التي فات بها نصر انعقدت أسبابه، وبدأت أوائله، هي معصية واحدة، والرسول ﷺ بين أظهرهم، فكيف بالمعاصي الكثيرة؟ و لهذا نقول: إن المعاصي من آثارها أن الله يسلط بعض الظالمين على بعض بما كانوا يكسبون، ويفوتهم من أسباب النصر والعزة بقدر ما ظلموا فيه أنفسهم).

[الطاعة والمعصية وأثرهما في المجتمع: غزوة أحد ـ الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين ـ دار المسلم ـ الرياض ١٤١٢هـ].

وكان إذا حصل خلل في الطاعة عاقب الله المسلمين ولو كان فيهم رسول الله ﷺ بسبب معصيتهم كما حصل في غزوة أحد، حيث قُتل من المسلمين سبعون، وجُرح رسول الله ﷺ بسبب معصية بعض الرماة الذين أمرهم بالبقاء في أماكنهم فاجتهدوا عندما رأوا المسلمين منتصرين على المشركين، وترك بعضهم الجبل، فأتى الله المسلمين بما لم يكونوا يحتسبون ليكون تربية لهم ولمن وراءهم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ

وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران].

وهذا العقاب قد حصل لأصحاب رسول الله ﷺ ولم يسلم من أثره الرسول ﷺ بسبب معصية لا تعد شيئًا بجانب معاصي المسلمين في العصور المتأخرة.

[الجهاد في سبيل الله: حقيقته وغايته ـ د/ عبد الله أحمد القادري ـ ط٢ دار المنارة ـ جدة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م].

إذًا مما سبق يتضح لنا أهمية طاعة ولي الأمر، وعظم مكانتها؛ لذا فعلى الدعاة إلى الله أن يكونوا قدوة في السمع والطاعة لولاة الأمر، وأن يقفوا بجانبهم وأن يساعدوهم على نوائب الحق، وأن يقفوا متحدين وراء ولي الأمر ويؤيدوه ويؤازروه ويكونوا عونًا له على إعلاء كلمة التوحيد بكل ما أتوا من متاع وما ملكوا من الدنيا». [غزوة أحد لبامدحج ٢٠٤-٢١٢].

٥ ـ مسؤولية القيادة:

يقول أ/ خلف الله: «يقاس تماسك الجماعات بمقدار اعتزاز الأفراد بالانتماء إليها، ويقوى الشعور بالانتماء إلى الجماعة كلما قويت الروابط التي تربط بين الأفراد، وتزداد هذه الروابط متانة كلما اتسع المجال الإنساني للعلاقات التي تربط بين أعضاء الجماعة، وتضعف بقدر ما يطرأ عليها أو يشوبها من عناصر لا إنسانية تهدد وجود الفرد وتجبره على أن يسلك سلوكًا لا إنسانيًّا إزاء الآخرين.

وتبلغ قوة الانتماء أوجها وتصل إلى مداها في الجماعات الإنسانية السوية السليمة: إذ تتربى في الأفراد أعلى ألوان الحساسية الاجتماعية، وحينئذ تكمل مسؤولية الفرد عن الجماعة ومسؤولية الجماعة عن الفرد، ويصبح كل فرد قائدًا وتابعًا في آن واحد، وتكون الجماعة كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

وقد صقلت التربية المحمدية الكاملة الصحب ـ رضوان الله عليهم ـ بأعلى مفهوم إنساني للقيادة فجعلت كل فرد منهم تابعًا صالحًا وقائدًا كفؤًا في مستواه المحدد له في الجماعة، ويوضح هذا المعنى قول المربي الأعظم صلوات الله وسلامه عليه: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...**».

[رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وأحمد].

وقد كشف بعض الفلاسفة في القرن العشرين عن أهمية هذا القانون، ووضعوا ما وسعهم أن يضعوه من المناهج لتطبيقه تطبيقًا صحيحًا في النواحي السياسية والاجتماعية والتربوية.

درَّب رسول الله ﷺ الصحب رضي الله عنهم إذن على التبعية الصالحة والقيادة الرشيدة الإنسانية بحيث لم يصبح لأحد منهم أية عذر لو قصَّر في تحمل المسؤولية التي ستلقى على عاتقه بعد وفاته ﷺ، بل إن الواجب يقتضي أن يسير كل منهم قدُمًا في نشر الدعوة كما لو كان رسول الله ﷺ حيًّا.

إلا أنه قد يتطرق إلى أذهان البعض أن أحدًا لن يصلح للقيادة العظمى بعد وفاته ﷺ، فكان لا بد من تجربة تعد الصحب للصمود في ذلك اليوم العظيم: وقد مروا بهذه التجربة القاسية خلال غزوة أحد.

وقد مرَّ بنا ما حل بالصحب حينما سمعوا نبأ قتله ﷺ: إذ اضطرب حبلهم فما يدري كبارهم ماذا يصنعون، فبين الله ﷻ لهم أن الواجب يقتضي منهم أن يستمر نظامهم كما هو؛ لأنهم لا يقاتلون من أجل مخلوق، وإنما يقاتلون في سبيل الله تعالى لتبليغ الدعوة الخالدة، وتعميم مبادئها الإنسانية العامة لإنقاذ البشرية من التردي في مهاوى الهلاك: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران]، والشاكرون هم الذين عرفوا ما يجب عليهم أن يفعلوه وتغلب شعورهم بالواجب على هول الموقف، فشكروا الله تعالى بثباتهم تقديرًا لنعمته عليهم». [غزوة أُحد لخلف الله ١٨٢-١٨٤].